سورة سبأ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض وله الحمد فى الآخرة وهو الحكيم الخبير ﴿١﴾ يعلم ما يلج فى الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو الرحيم الغفور ﴿٢﴾ وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربى لتأتينكم عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا فى كتاب مبين ﴿٣﴾ ليجزى الذين ءامنوا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة ورزق كريم ﴿٤﴾ والذين سعوا فى ءايتنا معجزين أولئك لهم عذاب من رجز أليم ﴿٥﴾ ويرى الذين أوتوا العلم الذى أنزل إليك من ربك هو الحق ويهدى إلى صراط العزيز الحميد ﴿٦﴾ وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم إذا مزقتم كل ممزق إنكم لفى خلق جديد ﴿٧﴾

٤٢٨

معانى الكلمات :

ما يلج : ما يدخل .

ما يعرج : ما يصعد .

لا يعزب : لا يغيب .

مثقال ذرة : مقدار ذرة .

معاجزين : مسابقين ظانين أنهم يفوتوننا .

فرقتم : قطعت أجسادكم .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن يعرف المسلم طريق الوصول لمعرفة الله وهو القرآن وتعاليمه . والتأمل فى قدرة الله .

٢ ـ أن يشعر المسلم بسمو القرآن .

٣ ـ أن يطبق المسلم تشريعات الله وأحكام الكتاب الكريم فى حياته .

المحتوى التربوى :

سورة سبأ سورة مكية آياتها أربع وخمسون ، وهى كمثل السورة المكية تناقش قضية العقيدة والتركيز الأكبر على قضية البعث والجزاء ، وإلى جوارها تصحيح بعض القيم الأساسية المتعلقة بموضوعات العقيدة الرئيسية وبيان أن الإيمان والعمل الصالح ـ لا الأموال ولا الأولاد ـ هما قوام الحكم والجزاء عند الله وأنه ما من قوة تعصم من بطش الله وما من شفاعة عنده إلا بإذنه. وسياق السورة مع تلاحم أجزائها يجرى على خمسة أشواط ، وهو حمد الله وذكر نعمه ، ثم ذكر قصة آل داود الشاكرين ثم تحدى المشركين ، والشوطان الرابع والخامس يعالجان معًا قضية الوحى والرسالة .

تبدأ السورة بتقرير الحمد لله عز وجل المالك لما فى السموات وما فى الأرض ، بيده أمر الدنيا وأمر الآخرة ، وهذه المقدمة فى الحمد كما يقول صاحب **الأساس** : « أخبرنا الله عز وجل فى مقدمة السورة عن استحقاقه للحمد ؛ لأنه للمالك والعليم والحكيم والخبير والرحيم والغفور ، فموضوع وجوده عز وجل بديهية وموضوع حمده وشكره بديهية ، وهذه المقدمة التى تأتى بين يدى مناقشة أقوال الكافرين تشعر أن كفر الكافرين وعدم شكر الجاحدين فى غير محله هذا بالنسبة لمحل المقدمة فى سياق السورة فمقدمة السورة تبين ما يستحقه الله عز وجل لكماله وإنعامه ، فالصلة بين محور السورة والمقدمة واضحة والصلة بين مقدمة السورة ومقاطعها كذلك واضحة » .

ثم تكشف الآيات بعد ذلك من صحائف علم الله ، مجالها الأرض والسماء ، وكما يقول صاحب **الظلال** : « ويقف الإنسان أمام هذه الصفحة المعروضة فى كلمات قليلة ، فإذا هو أمام حشد هائل عجيب من الأشياء ، والحركات ، والأحجام ، الأشكال ، والصور ، والمعانى ، والهيئات ، لا يصمد لها الخيال .

إن آية واحدة فى الكون لو تأملها الإنسان لآمن عن يقين بالله عز وجل ، ولآمن بأن هذا القرآن ليس من قول البشر ، لأن هذا الخاطر الكونى لا يخطر بطبيعته على قلب بشر » .

إن الآيتين الأوليين ضمان للمؤمنين ، وتسلية لهم ، وتسرية لقلوبهم ونفوسهم التى ترى العناد والصلف . حينما يذكرها الله بأن المقادير بيده ، وأن الكون وما فيه من خلق الله .

ثم تعرض الآيات نموذجا للكافرين الذين ينكرون قيام الساعة ، **ويعرض صاحب الظلال** سبب ذلك : « وإنكار الذين كفروا للآخرة ناشئ من عدم إدراكهم لحكمة الله وتقديره ، فحكمة الله لا تترك الناس سدى ، يحسن منهم من يحسن ، ويسىء منهم من يسىء ، ثم لا يلقى المحسن جزاء إحسانه ، ولا يلقى المسىء جزاء إساءته وقد أخبر الله على لسان رسله ، أن يستبقى الجزاء كله أو بعضه للآخرة ، فكل من يدرك حكمة الله فى خلقه يدرك أن الآخرة ضرورية لتحقيق وعد الله وخبره ، ولكن الذين كفروا محجوبون عن تلك الحكمة .

بمناسبة قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ ﴾ **قال ابن كثير** : « هذه إحدى الآيات الثلاث التى لا رابع لهن مما أمر الله تعالى رسوله ﷺ أن يقسم بربه العظيم على وقوع المعاد لما أنكره من أنكره من أهل الكفر والعناد، فإحداهن فى سورة يونس عليه السلام وهى قوله تعالى : ﴿ وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ والثانية هذه ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ ﴾ والثالثة فى سورة

التغابن وهى قوله تعالى : ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ ﴾ » .

وكان الرد على المنكرين ليوم الساعة أنه المدبر لهذا الكون الذى لا يغيب عنه أمر مثقال ذرة ولا أصغر ولا أكبر ، وهذا يبعث على التأمل فى تلك الكواكب السيارة ، وحركة الكون الدائبة التى لا تتوقف ، والتى تسير بتناغم وتناسق رغم ضخامة عددها .

ثم تمضى الآيات لذكر جزاء المؤمنين وعقاب الجاحدين المنكرين ، فذكر الجزاء داع للعمل وباعث عليه ، وثواب لمن قام بفريضة التفكر ، أما من أعرض عن آيات ربه وند عنها وحاول إبطالها فسيلقى جزاء صده وإعراضه .

وتصل الآيات إلى اختصاص أولى العلم بالنظر الصحيح للقرآن ﴿ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾ .

وما هو هذا الصراط ؟ ، **يقول صاحب الظلال** : « هو المنهج الذى أراده للوجود ، واختاره للبشر لينسق خطاهم مع خطا هذا الكون الذى يعيشون فيه » ، هذا المنهج « يعيد للمؤمن تصوره للوجود، ويصحح منهج التفكير، ويقيمه على أسس سليمة متفقة مع الإيقاعات الكونية على الفطرة البشرية ، هذا المنهج يعد الفرد للتجاوب والتناسق مع الجماعة البشرية ».

إن القرآن هو الدليل إلى هذا الصراط ، وإنك لتكون حسن الطالع ، وأنت تقوم برحلة فى طريق لو حصلت على دليل من وضع المهندس الذى أنشأ هذا الطريق . فكيف بمنشئ الطريق ومنشئ السالك فى الطريق .

ويأتى الإخبار من الله ـ عز وجل ـ عن استبعاد الكفرة الملحدين قيام الساعة ، واستهزائهم بالرسول ﷺ فى إخباره بذلك .. وهو فى هذا الإخبار لا يخلو أمره عن قسمين : إما أن يكون قد تعمّد الافتراء على الله تعالى أنه قد أوحى إليه ذلك ، أو أنه لم يتعمد لكن لُبِّس عليه كما يلبس على المعتوه والمجنون .

ما ترشدنا إليه الآيات تربويًّا :

١ ـ الإكثار من ذكر الله عز وجل بحمده والشكر له .

٢ ـ الاستمرار فى التفكر والتأمل فى خلق الله ـ عز وجل .

٣ ـ أن الجزاء من جنس العمل .

٤ ـ القرآن الكريم معجزة بلفظه ومعناه وتشريعاته وأحكامه ، وأنه يجب تطبيقه فى حياة المؤمن كلها .

أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۗ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ
فِى ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ ﴿٨﴾ أَفَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ
وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ
ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ
لَءَايَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٩﴾ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ
يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ
سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ
بَصِيرٌ ﴿١١﴾ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ
وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ
رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾
يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ
وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ
ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ
إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ
أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾
٤٢٩

معانى الكلمات

نخسف بهم الأرض : نغيبهم . **كسفاً** : قطعاً . **أوبى** : سبحى . **سابغات** : دروعاً . **قدر فى السرد** : دبر التسبح. **الغدو** : من الصبح إلى الظهر . **الرواح** : من الظهر للغروب . **القطر** : عين النحاس .

يزغ : ينصرف أو ينحرف . **محاريب** : قصور حصينة عالية . **جفان** : جمع جفنة وهو إناء فخارى . **الجواب** : الأحواض الكبيرة . **قدور** : وهو إناء كبير لطهو الطعام . **راسيات** : ثوابت .

منسأته : عصاه .

خرّ : سقط على الأرض .

العذاب المهين : المقصود الأعمال الشاقة .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن يعلم المؤمن أنواع الشكر لله ـ عز وجل .

٢ ـ أن يشعر المسلم بنعم الله ـ عز وجل .

٣ ـ أن يكثر المسلم من الشكر لله قولاً وعملاً .

المحتوى التربوى :

تنقل الآيات أكاذيب المنكرين للبعث وللنشور ، ويمضى هؤلاء المكذبون فى العجب والتعجب والاستنكار والتشهير ، ولو كانوا تأملوا وتدبروا فى الكون ما جحدوا ، ومن ثم يعقب تشهيرهم تعقيباً شديداً مرهوباً بأنهم فى عذاب وضلال شديدين ، وهذه حقيقة يشير إليها صاحب **الظلال** : « فالذى يعيش بلا عقيدة فى الآخرة يعيش فى عذاب نفس ، لا أمل ولا رجاء فى نصفه ، ولا عدل ولا جزاء ولا عوض عما يلقاه فى الحياة ، وفى الحياة مواقف وابتلاءات لا يقوى الإنسان على مواجهتها إلا وفى نفسه رجاء الآخرة ، وثوابها للمحسن وعقابها للمسىء، وإلا ابتغاء وجه الله والتطلع إلى رضاه فى ذلك اليوم الآخر، الذى لا تضيع فيه صغيرة ولا كبيرة، وإن تكن مثقال ذرة ».

إن الاعتقاد بالآخرة رحمة ونعمة يهبها الله لمن يستحقها من عباده بإخلاص القلب ، وتحرى الحلال ، والرغبة فى الهدى .

ثم تمضى الآيات لتوضيح قدرة الله على هؤلاء المكذبين ، وأنهم لا يملكون شيئاً لأنفسهم إذا مسهم الله بعذاب من عنده من خسف الأرض بهم،أو نزول نيازك وشهب وصواعق من السماء ، وهذا أمر حدث بأمم خلت من قبل فليعتبروا وليتوبوا إلى الله .

وتنتقل الآيات من مواقف تكذيب الكافرين إلى عرض صورة الشكر لله عند آل داود ، والاستغراق فى العبادة ، نلمح فى هذا النموذج صورة الإقرار بفضل الله ، والإخلاص فى العبادة لله عز وجل ، ومن فضل الله على داود أنه قد بلغ من الشفافية والتجرد فى تسابيحه أن انزاحت الحجب بينه وبين الكائنات ، فاتصلت حقيقتها بحقيقته فى تسبيح بارئها وبارئه ورجعت معه الجبال والطير إذ لم يعد بين وجوده ووجودها فاصل ولا حاجز حين اتصلت كلها بالله صلة واحدة مباشرة تنزاح معها الفوارق بين نوع من خلق الله ونوع ، وبين كائن من خلق الله وكائن، وترتد كلها إلى حقيقتها اللدنية الواحدة التى كانت تغشى الفواصل والفوارق فإذا هى تتجاوب فى تسبيحها للخالق وتتلاقى فى نغمة واحدة وهى درجة من الإشراق والصفاء والتجرد لا يصل إليها أحد إلا بفضل الله ـ عز وجل .

قال صاحب الظلال : « حين انطلق صوت داود عليه السلام يرتل مزاميره ويمجد خالقه ، رجّعت معه الجبال والطير ، وتجاوب الكون بتلك الترانيم السارية فى كيانه الواحد المتجهة إلى بارئه الواحد ، وإنها للحظات عجيبة لا يتذوقها إلا من عنده بها خبر ، ومن جرب نوعها ولو فى لحظة من حياته » .

ثم طرف آخر من فضل الله على نبى الله داود عليه السلام وهو تسخير الحديد له بإلانته له ، واستخدام هذا الحديد دروعاً للجسم لتقيه ، فألهم الله داود أن يصنع الدروع رقائق متداخلة متموجة لينة يسهل تشكيلها وتحريكها .

ثم يأتى إنعام الله لسليمان عليه السلام من تسخير الجن والرياح ، وإذابة النحاس ، وتسخير الجن لنبى الله سليمان عليه السلام، ويذكر السياق أن من عصى منهم ناله عذاب الله شديد ، ويأتى التعقيب لبيان خضوع الجن لله ، وكان بعض المشركين يعبدهم من دون الله ، وهم مثلهم معرضون للعقاب عندما يزيغون عن أمر الله .

وهم مسخرون لسليمان عليه السلام يعملون له ما أراد من محاريب وهى أماكن العبادة ، والتماثيل الصور من نحاس وخشب وغيره ، والجوابى جمع جابية ، وهى : الحوض الذى يجبى فيه الماء ،

وقد كانت الجن تُصنع لسليمان جفانا كبيرة للطعام تشبه الجوابى ، وتصنع له قدورًا ضخمة للطبخ راسية لضخامتها .

وهذه كلها نماذج مما سخر الله الجن لسليمان لتقوم له به حيث شاء بإذن الله ، وكلها أمور خارقة لا سبيل إلى تصورها أو تعليلها إلا بأنها خارقة من صنع الله ، وهذا هو تفسيرها الواضح الوحيد .

ويختم هذا بتوجيه الخطاب إلى آل داود بأن يعلموا شكرّ الله ، لا للتباهى والتعالى بما سخره الله ، والعمل الصالح شكر لله كبير .

بمناسبة قوله تعالى : ﴿ ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ﴾ ، قال ابن كثير: « فيه دلالة على أن الشكر يكون بالفعل كما يكون بالقول والبينة كما قال الشاعر :

أفادتكم النعماء منى ثلاثة يدى ولسانى والضمير المحجبا

قال أبو عبد الرحمن السلمى : الصلاة شكر ، والصيام شكر ، وكل خير تعمله لله عز وجل شكر ، وأفضل الشكر : الحمد » .

وفى قوله تعالى : ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴾ يقول صاحب الظلال : « هو تعقيب قرآنى يكشف عن جانب من عظمة فضل الله ، حتى ليقل القادرون على شكرها ، ويكشف من جانب آخر عن تقصير البشر فى شكر نعمة الله وفضله ..وهم مهما بالغوا فى الشكر قاصرون عن الوفاء، فكيف إذا قصروا وغفلوا عن الشكر من الأساس » .

فى قصة نبى الله سليمان خطاب ممن كانوا يعبدون الجن فى الجزيرة العربية بأنهم لا يعلمون الغيب ، بل هم سحرة لعبد من عباد الله ، وهؤلاء هم محجوبون عن الغيب القريب ، وبعض الناس يطلب عندهم أسرار الغيب البعيد ؟ !

وماذا يملك المخلوق الإنسانى المحدود والطاقة من الشكر على آلاء الله وهى غير محدودة؟.. وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها .. وهذه النعم تغمر الإنسان من فوقه ومن تحت قدميه وعن أيمانه وعن شمائلهم وتكمن فيه هو ذاته وتفيض منه وهو ذاته إحدى هذه الآلاء الضخام .

ما ترشدنا إليه الآيات تربويًا :

١ ـ وجوب شكر الله عز وجل بكل أنواعه ، بالقول والفعل .

٢ ـ الحرص على قوة الدولة الإسلامية والاستفادة بطاقات أبنائها .

٣ ـ التسليم بقضاء الله وقدره .

لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ
كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾
فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ
جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ
﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا ۖ وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴿١٧﴾
وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً
وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ ۖ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ ﴿١٨﴾
فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ
أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ
شَكُورٍ ﴿١٩﴾ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا
فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَانٍ
إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُو مِنْهَا فِي شَكٍّ ۗ وَرَبُّكَ
عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ
اللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي
الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾
٤٣٠

معانى الكلمات :

سيل العرم : سيل السد أو المطر الشديد .

أكل خمط : ثمر مرّ حامض .

أثل : شجر لا ثمر له .

سدر : شجر النبق .

قدرنا فيها السير : حددنا فيها المسافة .

باعد بين أسفارنا : اجعل المسافة بين القرى طويلة .

جعلناهم أحاديث : جعلهم على ألسنة الناس .

مزقناهم : فرقناهم .

ظهير : معين .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن يعلم المؤمن جانباً من قصة أهل سبأ .

٢ ـ أن يشعر المؤمن بسوء اتباع خطوات الشيطان .

٣ ـ أن يحذر المسلم من غواية الشيطان ، وأن يداوم على الشكر لله .

المحتوى التربوى :

بعد ذكر قصة آل داود وما تمثله من الشكر لله عز وجل قد رأينا أن قصة آل داود تعرض صفحة الإيمان بالله والشكر على أفضاله وحسن التصرف فى نعمائه ، وتأتى صفحة مقابلة وهى قصة سبأ، وما تمثله من الجحود والنكران ، وقد مضى فى سورة النمل ما كان بين سليمان وبين ملكتهم من قصص وهنا يجىء نبؤهم بعد قصة سليمان مما يوحى أن الأحداث التى تتضمنها وقعت بعد ما كان بينها وبين سليمان من نبى فقد نعمت سبأ بالجنان من اليمين والشمال ، وهذه آيات تذكر بالوهاب ، ولكن سبأ جحدوا نعمة ربهم وأعرضوا عن شكر الله ، وعن العمل الصالح ، فسلبت منهم هذه النعم جزاء صدهم ، وضيق الله عليهم فى الرزق ، وبدلهم من

الرفاهية والنعماء خشونة وشدة ، ولكنه لم يمزقهم ولم يفرقهم ، وكان العمران ما يزال متصلا بينهم وبين القرى المباركة : مكة فى الجزيرة ، وبيت المقدس فى الشام ، فقد كانت اليمن ما تزال عامرة فى شمال بلاد سبأ ، ومتصلة بالقرى المباركة ، والطريق بينهما عامر مطروق ، مسلوك مأمون .

وقيل : كان المسافر يخرج من قرية فيدخل الأخرى قبل دخول الظلام ، فكان السفر فيها محدود المسافات ، مأمونا على المسافرين ، كما كانت الراحة موقورة لتقارب المنازل ، وتقارب المحطات فى الطريق .

وغلبت الشقوة على سبأ ، فلم ينفعهم النذير الأول ، ولم يوجههم إلى التضرع إلى الله ، لعله يرد عليهم ما ذهب من الرفاء ، بل دعوا دعوة الحمق والجهل ، فطلبوا الأسفار البعيدة المدى ، التى لا تقع إلا مرات متباعدة على مدار العام ، لا تلك السفرات القصيرة المتداخلة المنازل ، التى لا تشبع لذة الرحلات ، وكان هذا من بطر القلب وظلم النفس ، واستجيبت دعوتهم ، ولكن كما ينبغى أن تستجاب دعوة البطر ، فشردوا ومزقوا وتفرقوا ، وعادوا أحاديث يرويها الرواة بعد أن كانوا أمة ذات وجود فى الحياة .

إن الآيات تظهر فضل الشكر وسوء عاقبة البطر والنكران ، وهو ما يجب أن يعيه المسلم حتى تتنزل رحمات الله عز وجل عليه إن شكر ، أما البطر فعواقبه وخيمة وهو سلب نعم الله منه .

ذكر ابن كثير عن ابن خيرة ـ كان من أصحاب على ﷺ قال : جزاء المعصية : الوهن فى العبادة ، والضيق فى المعيشة ، والتعسر فى اللذة ، قيل : وما التعسر فى اللذة ؟ قال : لا يصادف لذة حلالا إلا جاءه من ينغصه إياها .

ثم تتابع الآيات ذكر سبب غوايتهم وهو اتباعهم طريق الشيطان وغوايته لهم ، فالشيطان يغوى المؤمنين ويهوى إضلالهم ، لكن هناك فئة أو قلة مؤمنة تستعصى على الغواية ، وتثبت أنّ هنالك حقاً ثابتاً يعرفه من يطلبه ، وأن إبليس ليس له قوة على المؤمنين إنما هو تسليطه عليهم ليثبت على الحق من يثبت ، وليزيغ منهم من لا يبتغى الحق ويتحراه بلا عاصم من رقابة ولا تطلع لليوم الآخر .

ثم التعقيب القرآنى ﴿ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴾ وفيه رد العمل إلى الله ، والطمأنينة فى نفس المؤمن . أن الله مدبر للأمور والأحداث ، وعليمٌ بغواية إبليس ، ودفع للمؤمنين بأن إبليس ليس له سلطان قاهر على المؤمنين إلا تسليطه ليظهر المكنون فى علم الله من المصائر والنتائج ، فى

هذا المجال الواسع تتصل قصة سبأ بقصة كل قوم فى كل زمان ومكان ، ويتسع مجال النص القرآنى ومجال هذا التعقيب فلا يعود قاصراً على قصة سبأ، إنما يصلح تقريراً لحال البشر أجمعين، فهى قصة الغواية والهداية وملابساتها وأسبابها وغاياتها ونتائجها فى كل حال .

ثم يأتى النسق القرآنى بأمر للرسول بأن يخاطب المشركين مخاطبة تبكيت بأنهم لا يجدون من يغيثهم ولا ينصرهم من الآلهة المزعومة التى كانوا يدعونها ، ويرجح **صاحب الظلال** أن هذه الآلهة هى : « الملائكة الذين كانت العرب تدعوهم بنات الله ، وتزعم لهم شفاعة عند الله ، ولعلهم ممن قالوا عنهم : ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ » .

ويلحظ **صاحب الأساس** علاقة بين الآيات بقوله : « إن هناك ارتباطاً بين رؤية الآية ، والشكر لله ، والإنابة إليه ، وهناك ارتباط بين الشكر لله وبين الإيمان باليوم الآخر ، فالسورة تبدأ بذكر قول للكافرين بعيد استبعادهم لليوم الآخر ، ثم ردّ عليه ، ثم جاءت قصة داود نموذجاً على الشكر ، ثم جاءت قصة سبأ نموذجاً على الكفر » .

ثم يأتى أمر من الله لرسول الله ﷺ بأن يجادل المشركين بالحكمة مفندا معتقداتهم ، وأن يطلب منهم أن يدعوا آلهتهم المزعومة التى لا تملك شيئاً فى السماء ولا فى الأرض ، وهذا كله فى مقابل الصورة التى عرضت فى أول السورة ، وهو أن الله هو المالك لما فى السموات وما فى الأرض ، وأن الله لا يغيب عنه شىء ولا سبيل لأن يدَّعوا ملكية شىء فى السموات أو فى الأرض فالمالك لشىء يتصرف فيه وفق مشيئه . فماذا يملك أولئك المزعومون من دون الله ؟ وفى أى شىء يتصرفون تصرف المالك فى هذا الكون العريض ؟ لا يملكون فى السموات والأرض مثقال ذرة ملكية خالصة ولا على سبيل المشاركة : ﴿ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ ﴾ والله سبحانه وتعالى لا يستعين بهم فى شىء فما هو فى حاجة إلى معين : ﴿ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴾ .

ما ترشدنا إليه الآيات تربويًا :

١ ـ الحذر من جحود نعم الله والكفر بها .

٢ ـ الحذر من دعاء المؤمن على نفسه حتى لا يوافق ساعة إجابة .

٣ ـ أن التجارة والسعى على الأرزاق مما يحبه الله ويثيب عليه .

٤ ـ الحذر من غواية الشيطان وضلاله .

وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن
قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ
﴿٢٣﴾ ۞ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۙ
وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ قُل
لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ
يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ
﴿٢٦﴾ قُلْ أَرُونِىَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ كَلَّا ۚ بَلْ هُوَ ٱللَّهُ
ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ
بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾
وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾
قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ
﴿٣٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا
بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ
رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ
ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾
٤٣١

معانى الكلمات :

فزع عن قلوبهم : كشف الفزع والخوف عنهم .

يفتح بينكم : يحكم بينهم .

الفتاح : الحكم العدل .

موقونون : محبوسون للحساب .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن يعرف المسلم أسلوب الحوار مع المشركين والعصاة .

٢ ـ أن يشعر المسلم بعظم عون الله للمؤمنين .

٣ ـ أن يجيد المسلم الرد على المعاندين والعصاة .

المحتوى التربوى :

تبدأ الآيات بتقرير الشفاعة وأنها بإذن الله عز وجل ، فالشفاعة كما يقول صاحب **الظلال** : « مرهونة بإذن الله، والله لا يأذن فى الشفاعة فى غير المؤمنين المستحقين لرحمته ، فأما الذين يشركون به فليسوا أهلا لأن يأذن بالشفاعة فيهم ، لا للملائكة ولا لغيرهم من المأذونين بالشفاعة منذ الابتداء » .

وأكبر شفيع عند الله هو رسول الله ﷺ ، وذلك فى المقام المحمود يوم الفصل قال ﷺ : « فأسجد لله تعالى فيدعنى ما شاء أن يدعنى ، ويفتح على بمحامد لا أحصيها الآن ، ثم يقال : يامحمد ارفع رأسك ، وقل يسمع ، وسله تعطه ، واشفع تشفع » .

ثم تستمر الآيات فى تذكير الناس بالله بذكر مشهد الفزع يوم القيامة ، وذكر هذا المشهد يلائم ذكر الشفاعة ، فالناس يومها يطول بهم الانتظار ، ويطول التوقع ، وتعنو الوجوه ، وتسكن الأصوات ، وتخشع القلوب فى انتظار الإذن من الله ، وتظهر عندها رحمة الله بالمؤمنين وإكرام الله لنبيه محمد ﷺ بالشفاعة للمؤمنين .

يقول صاحب الظلال : « تصدر الكلمة الرهيبة ، فتنتاب الرهبة الشافعين والمشفوعين لهم ، ويتوقف إدراكهم عن الإدارك ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ ﴾ ، وكشف الفزع الذى أصابهم ، وأفاقوا من الروعة التى غمرتهم فأذهلتهم ﴿ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ﴾ يقولها بعضهم لبعض ، لعل منهم من يكون قد تماسك حتى وعى ﴿ قَالُواْ ٱلْحَقَّ ﴾ قال ربكم: الحق . الحق الكلى، الحق الأزلى، الحق اللدنى ، فكل قوله الحق ، ﴿ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾ وصف فى المقام الذى يتمثل فيه العلو والكبر للإدراك من قريب » .

ثم تنتقل الآيات من ذكر مشهد الفزع يوم القيامة إلى مشهد من الأرض ، وهو سعى العباد فى الأرض ، ومنح الرزق لهم ورزق الله للعباد مسألة واقعة فى حياتهم ، رزق السماء من مطر وحرارة وضوء ونور ، ورزق الأرض من نبات وحيوان وعيون ماء وزيوت ومعادن وكنوز .

وتظهر الآيات سمو الأسلوب فى الجدال مع المشركين يقول الرسول للمشركين : إن أحدنا لابد أن يكون على هدى ، والآخر لابد أن يكون على ضلال ، ثم يدع تحديد المهتدى منهما والضال ؛ ليثير التدبر والتفكر فى هدوء لا تغشى عليه العزة بالإثم ، والرغبة فى الجدال.

فالداعية هاد ومعلم يبغى هدى المدعوين وإرشادهم لا إذلالهم وإفحامهم ، والجدال على هذا النحو أقرب إلى لمس قلوب المستكبرين المعاندين المتطاولين .

وفى قوله تعالى : ﴿ قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ ، **يقول الرازى** : « أضاف الإجرام إلى النفس ، وقال فى حقهم ﴿ وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ ذكر بلفظ الجميل لئلا يحصل الإغضاب المانع من الفهم ، وقوله ﴿ لَّا تُسْـَٔلُونَ ﴾ ﴿ وَلَا نُسْـَٔلُ ﴾ زيادة حث على النظر ، وذلك لأن كل أحد إذا كان مؤاخذاً بجرمه ، فإذا احترز نجا ، ولو كان البرىء يؤاخذ بالجرم لما كفى النظر » .

ثم تستمر الآيات فى ذكر ما يجب على الرسول ﷺ فى حواره مع المشركين ، وهو أن الله هو الذى يفصل بين العباد، وأن معبوداتهم لا تنفعهم شيئاً ، وذلك كله تهيئة لتوضيح مهمة رسول الله ﷺ الذى ذكرت فى الآية التالية : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ . فالرسول حينما يدعوهم للخير لا يدعوهم لنفسه لا لملك ولا لسلطة بل

لتبشير المؤمنين بالخيرات إن أحسنوا ، وتحذيرهم من الكفر ؛ لأن ذلك هلاكا لهم ، فليس بين أصحاب الحق وأصحاب الباطل إلا الدعوة والبيان ، وأمرهم بعد ذلك إلى الله .

هذه الآية تقرر فردية التبعة والمسؤولية ، لكن المشركين لم يعوا ذلك بل يسألون الرسول فى عنت وعناد عن يوم القيامة ، وهذا السؤال كما يقول صاحب الظلال : « يوحى بجهلهم لوظيفة الرسول ، وعدم إدراكهم لحدود الرسالة ، والقرآن حريص على تجريد عقيدة التوحيد ، فما محمد إلا رسول محدد الوظيفة ، وهو قائم فى حدود وظيفته لا يتخطاها ، والله هو صاحب الأمر ، هو الذى أرسله ، وهو الذى حددّ له عمله وليس من عمله أن يتولى ـ ولا حتى أن يعلم ـ تحقيق الوعد والوعيد ذلك موكول إلى ربه وهو يعرف حدوده فلا يسأل مجرد سؤال عن شىء لم يطلعه عليه ربه ولم يكل إليه أمره وربه يكلفه أن يرد عليهم ردًا معينًا فيقوم به : ﴿ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴾ » .

وتستمر الآيات فى إيراد عناد المشركين ورد المسلمين عليهم ، فالكفار يستعجلون بالوعد والوعيد ، وهو دليل على عدم إدراك هذه الحقيقة الكلية ، ومن ثم فإن أكثر الناس لا يعلمون ، وعدم العلم يقودهم إلى السؤال والاستعجال ؛ وهم محجوبون عن رذيلة حكمة الله فى الكون ، فكل ميعاد يجىء فى أجله الذى قدره الله له ، لا يستأخر لرغبة أحد ، ولا يستقدم لرجاء أحد ، وليس شىء من هذا عبثا ولا مصادفة ، فكل شىء مخلوق بقدر ، وقدر الله يرتب الأحداث والمواعيد والآجال وفق حكمته المستورة التى لا يدركها أحد من عباده إلا بقدر ما يكشف الله له والاستعجال بالوعد والوعيد دليل على عدم إدراك هذه الحقيقة الكلية ، ومن ثم فإن أكثر الناس لا يعلمون وعدم العلم يقودهم إلى السؤال والاستعجال .

ثم تنقل الآيات ذم التقليد واتباع الكافرين فى الضلال ، فالذين كفروا بالقرآن وهديه متابعة لرؤوس الكفر وصناديده يرون العذاب ماثلا أمامهم فيقولون لرؤوس الكفار : ﴿ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴾ ، كلمة يقولونها يوم القيامة غير خائفين، كان يمنعهم الذل والضعف والاستسلام ، وبيع الحرية التى وهبها لهم ، والكرامة التى منحها لهم .

ما ترشدنا إليه الآيات تربويًا :

١ ـ الأساس فى الثواب والجزاء عند الله هو العمل الصالح .

٢ ـ الثقة بنصر الله للمؤمنين إذا أخلصوا العبادة لله .

٣ ـ القرآن الكريم يكرم العقل الإنسانى ويدعو للحوار الهادئ .

الجزء الثاني والعشرون — سورة سبأ

قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ
عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم ۖ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ
ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ
تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ
لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ
هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ
مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾
وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾
قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ
لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا
زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ
بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِىٓ
ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ
إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ ۚ وَمَآ
أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾

٤٣٢

معانى الكلمات :

صددناكم : منعناكم .

مجرمين : مصرين على الكفر .

أنداداً : شركاء .

الأغلال : القيود .

مترفوها : رؤساؤها المنعمون .

يبسط الرزق : يوسعه .

يقدر : يضيق .

زلفى : قربى .

الغرفات : الجنات .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن يعلم المسلم عاقبة الركون للنعمة ، وعاقبة الترف الزائد عن الحد .

٢ ـ أن يدرك المسلم قيمة المال ووظيفته فى الحياة .

٣ ـ أن يستعمل المؤمن نعم الله فيما أحل الله .

المحتوى التربوى :

يقرر السياق ضيق الذين استكبروا بالذين استضعفوا ، فهم فى البلاء سواء ، وهؤلاء الضعفاء يريدون أن يحملوهم تبعة الإغواء الذى صار بهم إلى هذا البلاء ، وعندئذ يردون عليهم باستكبار ، ويجبهونهم بالسب الغليظ .

تسوق الآيات رد المشركين من المتبوعين على الأتباع ، ونلحظ فى ردهم كما **يقول صاحب الظلال** : « التخلى عن التبعية والإقرار بالهدى ، وقد كانوا فى الدنيا لا يقيمون وزناً للمستضعفين ولا يأخذون منهم رأيا ، ولا يعتبرون لهم وجوداً ، ولا يقبلون منهم مخالفة ولا مناقشة ، أما اليوم ـ وأمام العذاب فهم يسألونهم فى إنكار : ﴿ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم ۖ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴾ من ذات أنفسكم ، لا تهتدون ؛ لأنكم مجرمون .

ولو كانوا فى الدنيا لقبع المستضعفون لا ينبسون ، ولكنهم فى الآخرة حيث تسقط الهالات الكاذبة والقيم الزائفة وتتفتح العيون المغلقة ، وتظهر الحقائق المستورة ، ومن ثم لا يسكت المستضعفون ولا يخنعون ، بل يجبهون المستكبرين بمكرهم الذى لم يفتر نهارًا ولا ليلاً عن الهدى ولا يعفى هؤلاء المستضعفون من المسؤولية يقول صاحب **الظلال** : « والمستضعفون عليهم وزرهم ، فهم مسؤولون عن اتباعهم للطغاة ، لا يعفيهم أنهم كانوا مستضعفين ، لقد كرمهم الله بالإدراك والحرية ، فعطلوا الإدراك وباعوا الحرية ، ورضوا لأنفسهم أن يكونوا ذيولاً ، وقبلوا لأنفسهم أن يكونوا مستذلين فاستحقوا العذاب جميعاً ، وأصابهم الكمد والحسرة » .

إن الآيات تعيد التذكير بفردية التبعة والمسؤولية فإنه لا وساطة عند الله ولا كرامة إلا بالعمل الصالح ، وكذلك الحذر من السير فى ركاب الظالمين ، وعدم الركون إلى الظالمين حتى لا يمسنا النار .

ثم تنقل الآيات إلى التحذير من الترف ، وأن المترفين فى كل أمة هم رؤوس الظلم وصناديد الكفر ، ويفصل ذلك صاحب **الظلال** بقوله : « هى قصة معادة ، وموقف مكرور على مدار الدهور ، وهو الترف يُغلظ القلوب ، ويُفقدها الحساسية ، ويفسد الفطرة ويغشيها ، فلا ترى دلائل الهداية فتستكبر وتصر على الباطل ولا تتفتح للنور .

والمترفون تخدعهم القيم الزائفة والنعيم الزائل ، ويغرهم ماهم فيه من ثراء وقوة ، فيحسبونه مانعهم من عذاب الله، ويخالون أنه آية الرضا عنهم أو أنهم فى مكان أعلى من الحساب والجزاء» .

فالآيات تعرض أسباب الترف والصد والاستكبار وهو كثرة الأموال والأولاد ، وهذا يذكرنا بصاحب الجنتين فى سورة الكهف ﴿ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴾ ، وتأتى الآيات بعد ذلك لتعرض أن ميزان القيم عند الله ليس له علاقة بقبض الرزق فليس قبض الرزق دليلا على الغضب من الله ، وليس بسط الرزق دليلا على الرضا من الله بقوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ .

وهذه المسألة : مسألة بسط الرزق وقبضه يبسط القول فيها صاحب **الظلال** : « هذه مسألة يحيك منها شىء فى صدور كثيرة ، ذلك حين تتفتح الدنيا أحيانا على أهل الشر ، والباطل والفساد ، ويحرم من أعراضها أحيانا على أهل الخير والصلاح،فيحسب بعض الناس أن الله ما كان ليغدق على أحد إلا وهو عنده ذو مقام أو يشك بعض الناس فى قيمة الخير والحق والصلاح. وهم يرونها محوطة بالحرمان !

ويفصل القرآن هنا بين أعراض الحياة الدنيا والقيم التى ينظر الله إليها . ويقرر أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وأن هذه مسألة ومسألة رضاه وغضبه مسألة أخرى ولا علاقة بينهما .

وقد يضيق تالله على أهل الشر كما يضيق على أهل الخير ولكن العلل والغايات لا تكون واحدة فى جميع هذه الحالات .

لقد يغدق الله على أهل الشر استدراجاً لهم ليزدادوا سوءاً وبطراً وإفساداً ، فيتضاعف رصيدهم من الإثم والجريمة ثم يأخذهم الله فى الدنيا أو فى الآخرة وفق حكمته وتقديره بهذا الرصيد الأثيم وقد يحرمهم فيزدادوا شرّا وفسوقًا وجريمة وجزعًا وضيقًا ويأسًا من رحمة الله وينتهوا بهذا إلى مضاعفة رصيدهم من الشر والضلال .

ولقد يغدق الله على أهل الخير ؛ ليمكنهم من أعمال صالحة كثيرة ما كانوا بالغيها لو لم يبسط لهم فى الرزق ، وليشكروا نعمة الله عليهم بالقلب واللسان والفعل الجميل ، ويذخروا بهذا كله رصيدًا من الحسنات يستحقونه عند الله بصلاحهم وبما يعلمه من الخير فى قلوبهم ، وقد يحرمهم فيبلو صبرهم على الحرمان ، وثقتهم بربهم ، وينتهوا بهذا إلى مضاعفة رصيدهم من الخير والرضوان »

بمناسبة قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ ﴾ **قال ابن كثير** : « روى الإمام أحمد عن أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : « إن الله تعالى لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ، ولكن إنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم » .

ثم وضحت الآيات بعد ذلك أن القرب من الله أو البعد ليس له علاقة بالأموال والأولاد إلا من عمل صالحاً فيها ، فى الأموال بمراعاة الله فى كسبها وإنفاقها فى وجوه الخير ؛ والأولاد فى تنشئتهم على طاعة الله عز وجل .

فى قوله تعالى : ﴿ وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴾ ، قال رسول الله ﷺ : « إن فى الجنة لغرفا ترى ظهورها من بطونها ، وبطونها من ظهورها ، فقال أعرابى : لمن هى ؟ قال ﷺ : « لمن طيب الكلام ، وأطعم الطعام ، وأدام الصيام ، وصلى بالليل والناس نيام » .

ما ترشدنا إليه الآيات تربويًا :

١ ـ إن العمل الصالح والتقوى هما أساسا القربى من الله عز وجل .

٢ ـ أن يؤمن المسلم بالرزق ، وأن يكون مطمئن القلب لما قدره الله .

٣ ـ الحذر من الركون إلى النعمة ، وأن يؤدى المؤمن حق الله فيما وهب .

معانى الكلمات :

يحشرهم : يجمعهم للحساب .

إفك مفترى : كذب مختلق .

نكير : عاقبة إنكارى عليهم .

جنة : جنون .

أجزى : جزائى .

يقذف : يلقى الحق فى قلوب من يختارهم .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن يعرف المؤمن أسلوب الحوار مع العصاة .

٢ ـ أن يشعر المؤمن بعظمة الرسالات السماوية .

٣ ـ أن يجيد المسلم الحوار مع المدعوين .

المحتوى التربوى :

تعرض الآيات نموذجاً للكفار يوم القيامة الذين يعبدون الملائكة ، وتبرأ الملائكة منهم ومن عبادتهم إياهم ، فكأنما هذه العبادة كانت باطلا أصلا ، وكأنما لم تقع ولم تكن لها حقيقة ، إنما هم يتولون الشيطان ، إما بعبادته والتوجه ، وإما بطاعته فى اتخاذ شركاء من دون الله ، وهم حين عبدوا الملائكة إنما كانوا يعبدون الشيطان ! ذلك إلى أن عبادة الجن عرفت بين العرب ، وكان منهم فريق يتوجه إلى الجن أو الاستعانة بهم .

ويتغير السياق من الحكاية والوصف إلى الخطاب والمواجهة ، ويوجه القول القول إليهم بالتأنيب والتبكيت ﴿ فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا ﴾ لا الملائكة يملكون للناس شيئا ، ولا هؤلاء الذين كفروا يملك بعضهم لبعض شيئا ، والنار التى كذب بها الظالمون ، وكان يقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين ، ها هم أولاء يرونها واقعا لا شك فيه .

إن عرض هذه الصور أمام الدعاة لتثبيت قلوبهم أمام الكافرين والمعاندين ، فهم يوم القيامة فى موقف الخذلان والحسرة والأسى، ويدخلون أشد العذاب، فالنار التى أنذروا منها يدخلونها، والملائكة الذين عبدوهم من دون الله يتبرؤون منها ومن عبادتهم إياهم .

وتتابع الآيات ذكر نماذج من استحقاقهم للعذاب وهو تكذيبهم بالأنبياء ، وكفرهم بما جاؤوا به ، **يقول صاحب الظلال** : « لقد قابلوا الحق الواضح البين الذى يتلوه عليهم رسول الله ﷺ برواسب غامضة من آثار الماضى ، وتقاليد لا تقوم على أساس واضح ، وليس لها قوام متماسك، ولقد أحسوا خطورة ما يواجههم به القرآن الكريم من الحق البسيط المستقيم المتماسك، أحسوا بخطورته على ذلك الخليط المشوش من العقائد والتقاليد » .

وفى اتهام الكفار للقرآن بأنه مفترٍ كلام لا حجة عليه أمام أتباعهم ، فحاولوا أن يعللوا وقعه الظاهر فى القلوب ، فقالوا : إنه سحر مبين .

ويقول صاحب الظلال فى ذلك : « هى سلسلة من الاتهامات ، حلقة بعد حلقة ، يواجهون بها الآيات البينات كى يحولوا بينها وبين القلوب ، ولا دليل على دعواهم ، ولكنها حملة من الأكاذيب لتضليل العامة والجماهير، أما الذين كانوا يقولون هذا القول ـ وهم الكبراء والسادة فقد كانوا على يقين أنه قرآن كريم ، فوق مقدور البشر ، وفوق طاقة المتكلمين » .

وتردّ الآيات على الكافرين رداً يدفع دعواهم الباطلة بأن هؤلاء القوم أميون لم يؤتوا من قبل كتابا يقيسون به الكتب، ويعرفون به الوحى، فيفتوا بأن ما جاءهم اليوم ليس كتاباً وليس وحياً ، وليس من عند الله ولم يرسل إليهم من قبل رسول ، فهم يهرفون إذن بما لا علم لهم به ، ويدعون ما ليس يعلمون .

وتستمر الآيات فى التسرية عن المؤمنين بأن الكفار الذين يعاندون الرسول الخاتم ليس لهم مثل قوة الأمم التى سبقتهم والتى أهلكها الله ، وهو تخفيف عن الدعاة فى كل عصر بأن القوة الحقيقية هى التمسك بحبل الله ، واللوذ بحماه ، والثقة بنصر الله ؛ لأن أسباب العباد منقطعة وأسباب الله موصولة .

قال الفخر الرازى فى قوله تعالى : ﴿ وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُواْ مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَـٰهُمْ ﴾ : « أى الذين من قبلهم ما بلغوا معشار ما آتينا قوم محمد من البيان والبرهان ، وذلك لأن كتاب محمد ﷺ أكمل من سائر الكتب وأوضح ، ومحمد ﷺ أفضل من جميع الرسل وأفصح ، وبرهانه أوفى ، وبيانه أشفى » .

وفى هذا السياق دعوة خالصة للكافرين بمنهج البحث عن الحق ، ومعرفة الافتراء من الصدق ، وتقدير الواقع الذى يواجهونه من غير زيف ولا دخل ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ

شَدِيدٍ ﴾ ويوضح ذلك صاحب **الظلال** بقوله : « إنه دعوة إلى القيام لله ، بعيداً عن الهوى ، بعيداً عن المصلحة ، بعيداً عن ملابسات الأرض، بعيداً عن الهواتف والدوافع التى تشتجر فى القلب ، فتبعد به عن الله ، بعيداً عن التأثر بالتيارات السائدة فى البيئة .

دعوة إلى التعامل مع الواقع البسيط لا مع القضايا والدعاوى الرائجة ولا مع العبارات المطاطة التى تبدد القلب والعقل فى مواجهة الحقيقة فى بساطتها .

دعوة إلى منطق الفطرةالهادئ الصافى بعيدًا عن الضجيج والخلط واللبس والرؤية المضطربة والغبش الذى يحجب صفاء الحقيقة .

وهى فى الوقت ذاته منهج فى البحث عن الحقيقة منهج بسيط يعتمد على التجرد من الرواسب والغواشى والمؤثرات وعلى مراقبة الله وتقواه .

وهى واحدة إن تحققت صح المنهج واستقام الطريق .. القيام لله .. لا لغرض ولا لهوى ولا لمصلحة ولا لنتيجة .. التجرد .. الخلوص .. ثم التفكر والتدبر بلا مؤثر خارج عن عن الواقع الذى يواجهه القائمون لله المتجردون » .

فى قوله تعالى : ﴿ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ﴾ **يقول صاحب الأساس** : « الحكمة فى تفرقهم وفرادى أن الاجتماع مما يشوش الخواطر ، ويعمى البصائر ، ويمنع من الرؤية ، ويقل الإنصاف فيه ، ويكثر الاعتساف ، ويثور عجاج التعصب ، أما الاثنان فيتفكران ، ويعرض كل واحد منهما محصول فكره على صاحبه، وكذلك الفرد يتفكر فى نفسه بعدل ونصفة ويعرض فكره على عقله ، وهذه الآية أصل فى موضوع الدعوة إلى الله ، إذ تبين أهمية الدعوة الفردية : ﴿ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ﴾ أى : ليس بمحمد ﷺ جنون والمعنى ثم تتفكروا فتعلموا أن ليس بمحمد ﷺ من جنون ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾ وهو عذاب الآخرة » .

ثم يدعوهم السياق إلى أن يكفروا : ما مصلحته ، وماذا يعود عليه وهو لم يسأل أجرا ؟ يقول لهم : إن الله كلفنى وهو الذى يأجرنى ، وهو يعلم ويرى ، وهو علىّ شهيد ، ومن ذا يقف أمام هذا الحق الذى جئتكم به ، فالله يقذف به عن علم ويوجهها على علم .

ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

١ ـ حسن الجدال مع الكفار والعصاة .

٢ ـ الدعوة إلى الله ، وعدم الرهبة من الكفار وعنادهم .

٣ ـ أهمية تنوع وسائل الدعوة الفردية منها والجماعية .

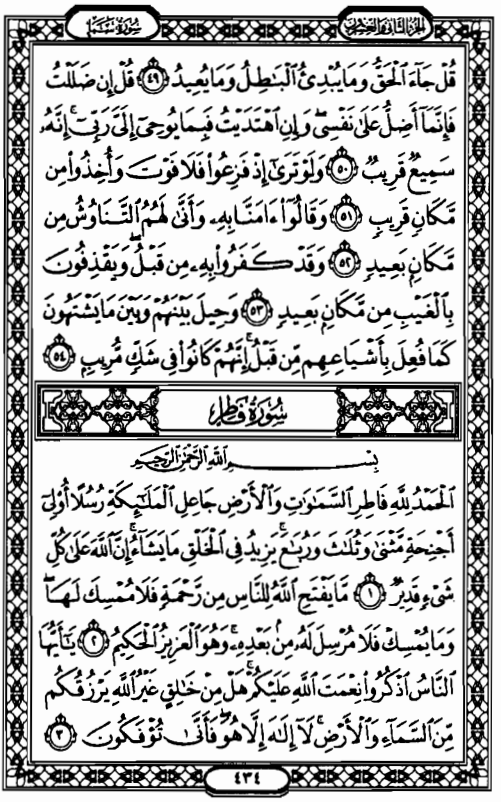
قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾ قُلْ إِن ضَلَلْتُ
فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى ۖ وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ
سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن
مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾ وَقَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦ ۖ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن
مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۖ وَيَقْذِفُونَ
بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ
كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ فِى شَكٍّ مُّرِيبٍ ﴿٥٤﴾

سُورَةُ فَاطِرٍ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ
أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ
شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ
وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم
مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾

٤٣٤

معانى الكلمات :

ما يبدئ الباطل وما يعيد : الباطل لا يقدر أن ينشئ خلقاً أو يعيدهم . فلا فوت : فلا نجاة . مكان قريب : موقف الحساب . أنى لهم التناوش من مكان بعيد : من أين لهم أن يتناولوا الإيمان تناولاً سهلا .أشياعهم: أمثالهم وأشباههم . مريب : موقع فى الشك والقلق .

« سورة فاطر »

فاطر : خالق على غير مثال سبق . أولى أجنحة : لها أجنحة . ما يفتح الله الناس:ما يرسل الله للناس .فلا ممسك لها : فلا مانع لها.فأنى تؤفكون: فكيف تصرفون عن توحيده .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن يعلم المؤمن فائدة التفكر والتدبر فى خلق الله وأحكامه .

٢ ـ أن يدرك المؤمن إعجاز قدرة الله فى خلقه .

٣ ـ أن يكثر المؤمن شكر الله على نعمه وعطاياه .

المحتوى التربوى :

يقرر السياق بأن الحق قد جاء فى صورة من صوره ؛ فى الرسالة ، وفى قرآنها ، وفى منهجها المستقيم ، فأعلن هذا الإعلان وقرر ، بأن الحق قد جاء ، جاء باستعلائه وسيطرته ، والباطل قد انتهى أمره ، وما عادت له حياة وما عاد له مجال .

يقول صاحب الظلال : « إنه الإيقاع المزلزل ، الذى يشعر من يسمعه أن القضاء المبرم قد قضى .. وإنه لكذلك ، فمنذ جاء القرآن استقر منهج الحق واتضح ، ولم يعد الباطل إلا مماحكة ومماحلة أمام الحق الواضح الحاسم الحازم ، ومهما يقع من غلبة مادية للباطل فى بعض الأحوال والظروف ؛ لا أنها ليست غلبة على الحق ، إنما هى غلبة على المنتمين إلى الحق ، غلبة الناس لا المبادئ ، وهذه موقوتة ثم تزول ، أما الحق فواضح بين صريح » .

والإيقاع الأخير : ﴿ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى ۖ وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ ﴾ فلا عليكم إذن إن ضللت فإنما أضل على نفسى وإن كنت مهتديًا فإن الله هو الذى هدانى بوحيه لا أملك لنفسى منه شيئًا إلا بإنه وأنا تحت بمشيئته أسير فضله .

إن دعوات باطلة هدامة مرت منذ قيام الإسلام تحاول هدمه وتحطيمه ، لكن زالت هذه الدعوات وأصحابها ، وبقى الإسلام قوياً يكسب أنصاراً جددًا حتى فى الأوقات التى ضعف المسلمون .

ثم يأتى خطاب النبى للمستكبرين ليؤكد فردية التبعية ، والإقرار لله بالفضل ، وإفراد الله بالسؤال والمناجاة ، وهكذا الدعاة إلى الله كما يقول صاحب الظلال : « يجدون الله ، هكذا كانوا يجدون صفاته هذه فى نفوسهم ، كانوا يجدونها رطبة بالحياة الحقيقة ، كان يحسون أن الله يسمع لهم ، وهو قريب منهم ، وأنه معنى بأمرهم عناية مباشرة وأن شكواهم ونجواهم تصل إليه بلا واسطة وأنه لا يهملها ولا يكلها إلى سواه ، ومن ثم كانوا يعيشون فى أنس من ربهم .. فى كنفه . فى جواره . فى عطفه . فى رعايته . ويجدون هذا كله فى نفوسهم حيا ، وقعا ، بسيطا ».

وتختم سورة سبأ بمشهدين من مشاهد يوم القيامة ، وذلك حين يرون العذاب فيلجؤون إلى الإيمان فهم فى الدنيا كانوا بعيدين عن الإيمان ومنكرين لليوم الآخرة ، وهم فى الآخر بعيدون عن الإيمان ولاقوا جزاء كفرهم عذابا شديداً مثل الأمم الذى كفرت من قبل ؛ ذلك لأن الجزاء من جنس العمل .

« سورة فاطر »

سورة فاطر سورة مكية آياتها خمس وأربعون وتسمى أيضاً سورة الملائكة وهذه السورة المكية نسق خاص فى موضوعها وفى سياقها ، فهى تمضى فى إيقاعات تتوالى على القلب البشرى من بدئها إلى نهايتها ، إيقاعات موحية مؤثرة تهزه هزًا وتوقظه من غفلته ليتأمل عظمة هذا الوجود وروعة هذا الكون وليتدبر آيات الله المبثوثة فى تضاعيفه المتناثرة فى صفحاته ، وليتذكر من آلاء الله ويشعر برحمته ورعايته وليتصور مصارع الغابرين فى الأرض ومشاهدهم يوم القيامة وليخشع ويعنو وهو يواجه بدائع صنع الله وآثار يده فى أطواء الكون وفى أغوار النفس وفى حياة البشر وفى أحداث التاريخ والسمة البارزة فى هذه الإيقاعات هى تجميع الأمور كلها فى يد القدرة المبدعة ، وإظهار طلاقة القدرة لله .

تبدأ الآيات بتقرير الحمد لله عز وجل ، فهذه السورة قوامها توجيه القلب ، وإيقاظه لرؤية آلائه ، واستشعار رحمته ، فهذا الكون وما فيه من ضخامة أجزائه وتباعد أفلاكه ومداراته من أسرار التناسق فيما لو اختلت فيه نسبه صغيرة لتحطمت كلها وتناثرت بدداً .